

أضواء البيان

@ 413 @ ويشربون ، أو جبريل أو القرآن ، أو ملك عظيم بقدر جميع المخلوقات . ونقلها الزمخشري وحكاها القرطبي ، وزاد : ثامناً وهم حفظة على الملائكة ، وتوقف ابن جرير في ترجيح واحد منها . .

والذي يشهد له القرآن بمثل هذا النص أنه جبريل عليه السلام ، كما في قوله تعالى : { تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّمَّنْ كُلِّ آَمْرٍ { ، ففيه عطف الملائكة على الروح من باب عطف العام على الخاص ، وفي سورة القدر عطف الخاص على العام . وإِ تعالَى أعلم . { لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرُّوحُ مَّانٌ } . قال الزمخشري : لشدة هول الموقف ، وهؤلاء وهم أكرم الخلق على إِ وأقربهم إلى إِ ، لا يتكلمون إلاَّ من أذن له الرحمان ، فغيرهم من الخلق من باب أولى . . وقال ابن كثير : هو مثل قوله تعالى : { يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا } بِإِذْنِهِ { ومثله قوله تعالى : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا } بِإِذْنِهِ } . .

والواقع أن هذا كله مما يدل على أن ذلك اليوم لا سلطة ولا سلطان لأحد فقط ، حتى ولا بكلمة إلاَّ ما أذن فيها ، كما قال تعالى : { لِّمَنْ أَلْمُلُكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } . { ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ } . هو يوم القيامة لاسم الإشارة ، وقد أشير إليه بالاسم الخاص بالبعد ذلك بدلاً من هذا ، مع قرب التكلم عليه ، ولكن إما لبعده زمانياً عن زمن التحدث عنه ، وإما لبعده منزلته وعظم شأنه ، كقوله تعالى : { الْم ذَالِكِ الْكِتَابُ } ، وفي هذا عود على بدء في أول السورة ، وهو إذا كانوا يتساءلون مستغربين أو منكربين ليوم القيامة ، فإنهم سيعلمون حقاً ، وها هو اليوم الحق لا لبس فيه ولا شك ليرونه عين اليقين . { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ مَا أَبَا } . . المآب : المرجع ، كما تقدم مثله { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } ، فإذا كان هذا اليوم كائناً حقاً ، والناس فيه إمَّسا إلى جهنم ، كانت